أنتَ لي كنزٌ ثمين

كنيستُنا

العدد ١٣ | شباط ٢٠١٨
أبرشيّة أنطلياس المارونيّة

أللّهمَّ ارحمنا نحن الخطأة

إنّنا كمسيحيّين نعيش في نعمةٍ عظيمة، قد تتحوّل في الوقت عينه إلى خطرٍ مُضلٍّ.

أمّا النّعمة فهي معرفة الله الواحد المثلّث الأقانيم، الآب والابن والرّوح القدس، والإيمان به إيمانًا وثيقًا ثابتًا. والخطر هو أن نعتاد إيمانًا سطحيًّا، ونفقد علاقتنا الشخصيّة بإلهنا الحيّ، حينما يصبح إيماننا مُقتصرًا على ممارساتٍ طقسيّة يغلب عليها الالتزام الخارجي، ويغيب عنها تمامًا كلّ بُعدٍ شخصيّ في علاقة المؤمن بالله الحيّ! مع العلم أنّ عيش الإيمان على الصعيد الجماعي يبقى أمرًا أساسيًّا في حياة المؤمن. غير أنّ الله وبالرّغم من ذلك، "قد بارَكنا كلّ بركةٍ روحيّة في السّماوات في المسيح" (أف ١/ ٣ب) الّذي به، باتت علاقته بكلٍّ منّا علاقة شخصيّة قوامها المحبّة. "فإنّ الله أحبّ العالم حتّى أنّه جاد بابنه الوحيد" (يو ٣/ ١٦أ) "الّذي وهو في صورة الله لم يعُدّ مُساواتَه لله غنيمة بل تجرّد من ذاتِه [...] وظهر في هيئة إنسانٍ فوَضَعَ نفسه وأطاع حتّى الموت، موتِ الصّليب" (فل ٢/ ٦-٨)، "لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة" (يو ٣/ ١٦ب).

أمام هذا الواقع، لا يمكننا إلّا أن نعود إلى ذواتنا ونقف أمام الله مُدركين أنّنا خطئنا إليه، فيصرخ كلٌّ منّا متضرّعًا: "أللهمّ ارحمني أنا الخاطئ" (لو ١٨/ ١٣ب)، ونسمع الله يهمس في أعماق كلٍّ منّا قائلًا: **أنت لي كنزٌ ثمين** "قبل أن أصوّرك في البطن عرفتك وقبل أن تَخرُج من الرّحم قدّستك وجعلتك نبيًّا للأمم" (إر ١/ ٥).

"فهلمّوا نُهلّل للربّ نهتف لصخرة خلاصنا، نُبادر إلى وجهه بالشكران ونهتف له بالأناشيد" (مز ٩٥/ ١-٢).

الآخر كنزٌ لا يُثمَّن

يرتدي سترته الجلديّة، يزيّن أصابعه بالخواتم الضخمة، يستقّل درّاجته متجوّلًا في الشّوارع الفرنسيّة باحثًا عن المتروكين والمهّمشين في المجتمع.

إنّه غي جيلبير Guy Gilbert،

كاهنٌ فرنسيٌّ كاثوليكيٌّ اختار الذهاب إلى المُردَلين. رأى هذا الكاهن يسوع في المحتاج والمتروك. إعتبر أنّ كلّ شخصٍ هو لؤلؤةٌ ثمينة: كنزٌ من اللّه.

تعلّم من معلّمِهِ المحبَّة المجانيّة، فهو كالمسيح يحتضن الزانية المهمَّشة من أفراد عائلتها وكالمسيح يقبل المُتَمَرِّدين على حياتهم القاسية، زكما تحنّن المسيح على الأبرص فهو يقبل مَن دَلَّتهُم الحياة ورفضَهُم المجتمع. هو ينظر إلى قيمة الإنسان ولا يحكم على أعماله أو أخطائه. أدرك أنّه كنزٌ ثمينٌ بنظرِ الله فنظَر إلى الآخر بعيونِ المسيح.

أنتَ وحدك يا ربّ

هاءنذا الآن يا ربّ، فاغمرني في قبضة يديك! عرفتك من دون أن أراك، شعرت بك من دون أن ألمسك، فهمتك من دون أن أسمعك. أحدِث حولي فراغًا، فإنّ كلّ شيءٍ أحببته سابقًا يبدو لي مهزلةً. لم تعد تهمّني الأشياء، ولا راحتي، لا تهمّني حياتي، ولا شوق لي بعد الآن إلّا أنت، لا أريد بعد الآن إلّا أنت. إجعلني بكليّتي لك،

فأنت لي كنز!

(من كتاب الأيادي الضارعة للأب ميشال كواست، بتصرّف)

العطاء، كنزٌ لي وللآخر

أجيالٌ كثيرةٌ قبلت دعوةَ الإنسانيّة لها، فرأت بالفقير إمكانيّة العطاء. لا بدافع الحبّ في معظم الأحيان، بل بدافع المبادئ، جاعلةً من المحبّة واجبًا. ولكن، مع المسيح، اختبرت الإنسانيّة مفهومًا جديدًا للعطاء الكامل، حيث لا إمكانيّة "لردّ الجميل"، فها هو الله يهَبُنا ذاته مجّانًا، من دون مقابل على الصّليب.

إذن،
العطاء هو صفةٌ إلهيّة، يجب علينا أن نطلبَ نعمةَ الرّوح القدس لنعيشها. ونحن مدعوّون للتّمييز إن كان حقًّا عطاؤنا هو نعمةً أم لا، وذلك بالإستناد إلى شرطين: الدّوافع والنتائج.

دوافع العطاء الحقيقيّ، هي المحبّة غير المشروطة التي لا تنتظرُ مقابل، روح الأخوّة التي ترى حاجة الآخر، والغيرة على أبناء الله
.
أمّا النتائجُ فهي الفرح الداخليّ البعيد عن الانتظارات، التواضع الحقيقيّ المُتَرجَم بشُكرٍ لله على عطاياه، والعطش الدائم إلى العطاء.

العطاء يتحقّق عندما ندرك أنّ الآخر هو كنزٌ ثمينٌ بعَينَيّ الله وَضَعَه أمانةً في حياتنا لنحبّه ولنحافظ عليه. ومن قال أنّ العطاء ينحصر بوقتٍ وبنوعٍ واحدٍ من الخليقة؟ فها هو الله يضع بين أيدينا كنزًا عظيمًا آخر غير الإنسان، ألا وهو الطبيعة بجميع مكنوناتها.

فهل ندرك أنّ الاهتمام بها هو أيضًا عطاءٌ للأجيال القادمة؟

الكنيسة وكنوز الدّنيا الفانية

هل العمل في المجال الإقتصادي دعوةٌ مسيحيّة؟

نعم، فالعمل في التجارة أو في الإقتصاد يُعتَبَرُ دعوةً حقيقيّةً من الله: فالأشخاص الذين يعرفون أن يكونوا في خدمة إخوتهم والمجتمع، من ضمن إطار مسؤوليّتهم، هم بركة للجميع.

(DOCAT 163)

ما هي غاية الإقتصاد؟

في الحياة الإقتصاديّة والإجتماعيّة أيضًا، يجب العمل في سبيل ترقّي كرامة الشّخص البشريّ وشرفه وفي سبيل دعوته الكاملة وخير المجتمع كلّه. فالإنسان هو صانعُ الحياة الإقتصاديّة والإجتماعيّة كلّها. هو نقطةُ إرتكازها وغايتها.

(المجمع الفاتيكاني الثاني. الكنيسة في عالم اليوم، ٦٣)

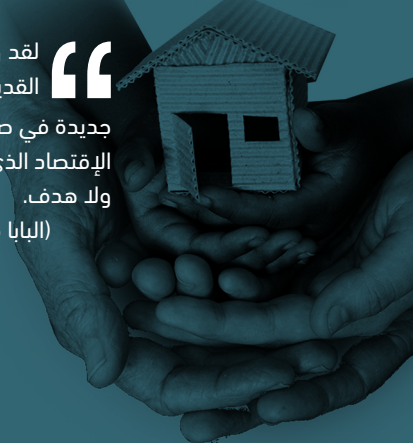

"لقد وجدتُ عبادةُ عجل الذّهب القديم" (تك ٣٢: ١-٣٥)، روايةٌ جديدة في صنميّة المال وفي دكتاتوريّة الإقتصاد الذي لا وجهًا إنسانيًّا حقيقيًّا له ولا هدف.

(البابا فرنسيس. فرح الإنجيل، ٥٥)

سُؤال جواب

ما قيمتنا عند الله؟

في البَدءِ خلقَ الله السّماوات والأرض ثم النّبات والحيوان وأخيرًا خَلَقَ الإنسان على صورتِهِ كمثالِهِ. في هذا الفعل حبٌّ لا ينتهي إذ إنّه لم يخلقهُ وحسب، بل أمَّنَ له كلّ احتياجاتِهِ حتّى قبل صنعِهِ ليَطمَئِنَّ عليه.

فمِن فَيضِ حُبِّهِ، خَلَقَنا نحن البشر كما الشجرةُ الّتي تُثمِرُ أطيَبَ الثّمار من فيضِ نُموّها وجمالِها. فإن كُنّا نولَدُ من الرَّحمِ ونعشَقُ أُمّهاتِنا، ماذا لو أدرَكنا للحظةٍ أنّنا وُلِدنا من أَرحمَ رحمٍ وأجملَ وأعظمَ خالقٍ؟ "أَتَنْسى المَرأَةُ رَضيعَها فلا تَرحَمُ ابنَ بَطنِها؟ حتَّى ولَو نَسيَتِ النِّساءُ فأَنا لا أَنْساكِ. هاءَنَذا على كَفَّيَّ نَقَشتُكِ وأَسْوارُكِ أَمامَ عَينَيَّ في كُلِّ حين" (أش ٤٩/ ١٥-١٦).

إنَّنا أَسمَى وأغلَى الكنوزَ بعينيّ الربّ لأنّه أحاكَ لنا عالمًا رائعًا، فحتّى بعدَ مماتِنا،لا نزولُ بل ننعَمُ بحياةٍ ثانيةٍ ونعودُ إليهِ كما تعودُ البذرةُ إلى أصلِ الشجرة.